

كلمة السيدة وزيرة الثقافة

في حفل تأبين المرحوم الدكتور عادل العوا

الدكتورة نجوة قصاب حسن

(إنَّ الإنسانَ إنسانٌ حقاً، عندما يُحقِّقُ العملَ الإنسانيَّ الأسمى. وهذا العملُ هو الخيرُ، والسعادةُ هي المكافأةُ التي نحصلُ عليها عندما نفعَلُ ما يليقُ بطبيعتنا الإنسانية).

هكذا كانَ أستاذنا القديرُ الدكتورُ عادلُ العوا، وهكذا علَّمنا وعَلَّم أجيالاً من المفكرينَ والباحثينَ، الذينَ رأوا فيه قدوةً ومثلاً ومعلماً للمعارفِ والقيمِ والقواعدِ الأخلاقيةِ.

وما أعظمَ شأنًا من أن يرتبطَ اسمُ الإنسانِ بالأخلاقِ والفضيلةِ والوجدانِ والقيمِ والخيرِ والعقلِ والحكمةِ كانتَ هذه مفرداتِ حياةِ الدكتورِ عادلِ العوا وآفاقَ عملهِ ومحورَ تفكيره وبخِثه ومواضيعِ كتبه ومؤلفاته. لقد عاشَ هذه المضامينَ الأخلاقيةِ، وعاشَ من أجلها ومن أجل نقلها إلى أجيالٍ تتعاقبُ في مدرسته الفكريةِ، بأسلوبٍ يتسمُ باللطفِ والحكمةِ والموضوعيةِ وبهالةٍ من الاحترامِ والهيبةِ، أُحيطتْ به نتيجةَ غزارةِ علمه واتساعِ اطلاعه ودقةِ تعبيره ووضوحِ فكره ومنهجه.

لم يكنْ يوماً أستاذاً عادياً عابراً في حياةِ أيِّ مُتعلِّمٍ يقصُّدُ علمه، بل كانَ حضوره الراقِي فاعلاً مؤثراً، يستعيدُه الإنسانُ مدركاً حِكمتَه وأبعادهُ، وإذا كانتْ سماتُ أيِّ إنسانٍ، تتشكُّلُ من اهتماماته وأعماله ونتاجه، فإنَّ مجملَ المناخِ الذي عاشَ في نطاقه الدكتورُ عادلُ العوا، يتمحورُ حولَ قضايا الفكرِ والبحثِ والعقلِ والحكمةِ وغاياتِ الوجودِ والأخلاقِ. فلو

استعرضنا بعضاً من عناوين نتاجه الفكريّ وكُتبه، لوجدناها تتركزُ حولَ القيمة الأخلاقية، المذاهبُ الأخلاقية، دراساتُ أخلاقية، المدنيةُ سراجها، القيمةُ الأخلاقيةُ، فلسفةُ القيم، الوجدانُ، الأخلاقُ، الفنُّ الفكرُ، الفكرُ والتاريخُ، الكلامُ والفلسفةُ، من الشرفِ إلى الحكمةِ - التجربةُ الفلسفيةُ) وآخرُ كتبه كانت بعنوان «التسامح من العُنفِ إلى الحوارِ» والفضائلُ العربية.

وما أعظمَ هذه الموضوعاتِ، وما أسمى مقصدَها، وما أجملَ أن تنتهي حياةُ الإنسانِ، وهو يدافعُ عن التسامحِ والحوارِ ويذكرُ الفضائلَ العربيةَ، ويعزُّزُ دورها في تأكيدِ الدورِ الحضاريِّ للأمةِ العربيةِ، استناداً إلى مخزونها المعرفيِّ والأخلاقيِّ والقيميِّ.

ندرةُ هم الذينَ وهبوا حياتهم لنشرِ المعرفةِ، وترسيخِ دعائمِ الأخلاقِ والقيمِ، ندرةُ هم من كانتْ لحياتهم أهدافٌ واضحةٌ محدودةٌ، يسرونَ لإنجاحها بثباتٍ وحكمةً، ويدعونَ إليها برويةٍ واقتدارٍ علميٍّ فائق. والأندرُ من ذلك أن يعيشَ الإنسانُ فكراً وعملاً في هذا المناخِ القيميِّ والفكريِّ الأرقى دونَ أن يجيدَ عنه.

الاستمرارُ والثباتُ على المبدأِ والمنهجِ، هو الذي ميَّزَ أستاذنا القديرَ عادلَ العوا، الذي استوحى من اسمه العادلِ منحى حياته في دراسةِ قيمِ العدالةِ والإنصافِ والحقِّ والخيرِ، فكانَ بذلكَ التخلُّقُ اسماً ومعنىً وأسلوبَ حياةٍ.

من أجلِ هذا الدأبِ وهذا الإخلاصِ في العملِ التربويِّ الجدِّي، نالَ أعلى مراتبِ التقديرِ، وذلكَ بتكرُّمِ السيدِ الرئيسِ بشار الأسد، بمنحهِ وسامِ الاستحقاقِ من الدرجةِ الممتازة، تعبيراً عن إخلاصِ الوطنِ وقائدِ الوطنِ لعلمائه ومفكره والمخلصينَ، ودورهم في مجالِ العلمِ والمعرفةِ وتنشئةِ الأجيالِ لأنَّ:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
 لقد كان في حياته تواقاً للحكمة والمعرفة، وتذّر نفسه لكل ما يرتبط
 بالقيم والأخلاق، دأب على البحث عقوداً، وتعب في تبّي أدواره العلمية
 والتربوية المتعددة دون أن ينثني عن غاياته أو يملّ لأنه:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مُرادها الأجسام
 ولأنّ نفسه كانت أكبر من أن تُلهيها تفاصيل الحياة عن أهدافها المثلى
 وغاياتها النبيلة.

صوته الهادي، وُرقيّ معاملته وإنسانيته الغامرة، ونتاجه العلمي الغزير
 شكلت مكونات فلكٍ خاصٍ مهيب، أحاطَ به يتعرفُ إليه كلُّ مخلصٍ للعالم
 والحكمة والتخلُّق. ويقتدي به كلُّ إنسانٍ يريدُ أن يرتقي إلى رتبة العارف
 والمعلم.

إلى روحك الطاهرة وإلى وجدانك النقيّ، وإلى يقينِ المدنية والقيم
 الأخلاقية المتمثلة فيك والتي كنت عنها تدافع، سلامٌ واطمئنانٌ بأن الأوفياء
 الذين هملوا من عملك، واقتدوا بخصالك، يتابعون هذا الدور النبيل وإنّ أمةً
 تقدر قيادتها عطاءك وعطاء أمثالك لجديرة بأن تكون خير الأمم مكانةً.